بعد هذا أيضاً يجب ألا يكتفى بتقاليد أمته وجنسه ، بل يكون واسع الأفق عالي البحث حتى يصل إلى مبادىء يمكن الحكم بصلاحيتها للجميع . والسياحة بما تهيئ لنا من فرصة تعرف تقاليد الأمم والشعوب المختلفة الدينية والاجتماعية فى مواطنها الخاصة يمكن أن تمدنا بهذا البحث الأخلاق الواسع الدقيق بمبادىء أخلاقية عامة لها قيمتها وخطرها . من أجل هذا يقول أحد الكتاب الإنجليز — بعد ما ساح كثيراً بين أوربا وأمريكا وأقام أخيراً باليابان — مادمنا معاشر الأوربيين لم نعش إلا فى نصف الكرة ، فليس لنا إلا أنصاف أفكار وآراء[1] » .

وإذاً لكي نصل إلى مبادىء وأحكام صحيحة ، يجب أن نسائل هذا وذاك ، لا نخص بحثنا بأمة دون أمة ولا بجنس دون جنس ، ولا بعصر دون عصر . يجب أن نجمع شهادات كل الضمائر التى لها قيمتها ، وأن نبحث لنفهم نفسية الأفاضل والأبطال والحكماء ثم نعمل التحقيق غير المتميز فى كل هذا المجموع من الآراء الأخلاقية لنعد بذلك العقيدة الأخلاقية غير المغرضة على طريقة « المروحة » حسب تعبير « روه ـ Rauh » نفسه ، وإذاً يكون القانون والمثال الأعلى الأخلاق هو نقطة الانتهاء لطرق متعددة متنوعة .

هذه هى الطريقة العلمية المنتجة التى أرى أنه باتباعها نصل إلى تقرير حقائق أخلاقية صالحة لكل العقول ، وإلى تعرف المثل الأعلى الأخلاق الذى يقبل من كل الضمائر المستقيمة والإرادات الطيبة فى كل البيئات والعصور .

إلى هنا انتهيت مما أردت بحثه ، ولم يبق إلا أن أتوجه بالشكر لله تعالى ، وإلى حضرة الأستاذ الجليل صاحب « الرسالة » ، وحضرات القراء الذين تفضلوا بتشجيعى على جهد المقل برسائلهم وكلماتهم الطيبة . وأخص حضرة الباحث الجليل الأستاذ نصيف المنقبادى الذى لا أجدنى أهلاً للثناء الذى وجهه إلى بعدد «الرسالة» الغراء رقم ٣٠٣ فى ابتداء الكلمة القيمة التى بحث فيها غريزة الخير والشر من الناحية البيولوجية أى من ناحية أصلها ونشأتها وتطورها وذلك غير الناحية التى حاولت بحثها .

وإلى اللقاء بعد العودة من فرنسا إن شاء الله تعالى فى أول العام الدراسي الآتى .

محمد يوسف موسى
المدرس بكلية أصول الدين

(١) Challaye : Philosophie scientifique et phl. morale
شالي : الفلسفة العلمية والفلسفة الأخلاقية

# د . ه . لورنس

## الأستاذ عبد الحميد حمدى

*مقدمة*

أمل ويأس : فى هاتين الكلمتين يتلخص تاريخ القرن التاسع عشر والجزء الأول من القرن العشرين . كانت تقوم الحركة تلو الحركة ، وفى كل مرة ينبعث الأمل ويظن الناس أن الحياة قد بعثت من جديد وأنهم صاروا قاب قوسين أو أدنى من السعادة الإنسانية ، ولكن سرعان ما تذوى الحركة وتموت ، فيتحول الأمل يأساً ، وينقلب النعيم بؤساً ، وتحل الحسرة محل السرور ، ويأخذ الألم مكان اللذة ، وبذلك تتم الحياة وتظلم أكثر من ذى قبل حتى لا تبشر بعد ذلك بخير

فى مستهل القرن التاسع عشر قامت الحركة الصناعية ، فهلل الناس وكبروا استفاقوا كأنهم من كابوس مريع . ولكن لم تلبث هذه الحركة أن خلفت أضعاف ما كان موجوداً من بؤس وشقاء ، فازدحمت المدن حتى ضاقت بسكانها وتوزعت الثروة ولكن توزيعاً غير عادل ؛ فكان من جراء ذلك أن مال الناس عن هذه الحركة وتعلقوا بأهداب حركة أخرى ناشئة هى الحركة العلمية التى قامت نتيجة للمستكشفات العلمية والمخترعات الحديثة ؛ فأقبل الناس فيها واستبشروا بها حتى صدمتهم الحقيقة المرة وتبينوا أن العلم قد يعطى الإنسان قوة فوق قوة ولكنه لا يهبه السعادة ولا الهناء

وعلى أثر يأس الناس من هذه الحركة ناصروا الحركة السياسية التى قامت تحت زعامة جلادستون أملاً فى أن الدعوة إلى الحرية وإلغاء الفوارق بين الطبقات والتخلص من امتيازات الطبقة العليا هى سبيل السعادة المنشودة . ولكن ما كاد عميد الحركة يقضى حتى قضت الحركة إلى جواره ، ثم أتت هزيمة فرنسا فى الحرب السبعينية فكانت ضغثاً على إبالة وكانت الضربة القاضية للحركة لأن فرنسا كانت نصيرة الحرية ورمزاً لها فى ذلك الوقت

وبهذه الطريقة يلقى الإنسان باليأس المرة بعد المرة حتى تضب معين أمله ، وزال عنه تفاؤله ، وصار لا ينظر إلى الحياة إلا بمنظار أسود ، بعد أن تبين له أنه إنما يحارب عدواً لا قبل له به ، وأنه قد كتبت عليه الهزيمة مهما قاتل ومهما استبسل . لذلك رأى

أن لا مفر له من اجتناب هذه الحياة والابتعاد عنها ، فكانت الفنون خير مكان يلجأ إليه ... فهناك فى دنيا الخيال يسبح الإنسان فى عالم من صنع يده ، عالم هو مبدعه وخالقه ، بعيداً عن صخب الحياة وضجيجها . ولكن ما كاد يبزغ فجر القرن الجديد حتى تبين للناس أن الفنون ما عادت تصلح لأن تكون ملجأ الإنسان إلى الأبد ، وزاد إيمانهم بهذا عند نشوب حرب جنوب أفريقيا واستعداد ألمانيا للحرب بشكل لم يسبق له مثيل من قبل . عند ذلك أدرك الناس أن الوقت قد حان كى يتركوا عالم الخيال جانباً ويعودوا إلى الحياة ومواجهتها

وقامت فى ذلك الوقت مدارس عديدة تدعو إلى مبادئ متباينة . فقامت مدرسة ريارد كبلنج ، ومدرسة برنارد شو ، و هـ . ج . ويلز ، ثم مدرسة ج . ك . تشسترتون . وكان لهم كل واحدة منها نقد مبادئ المدرستين الأخريين ودعوة الناس إلى اعتناق مبادئها هى ، حتى قامت الحرب العظمى التى إن دلت على شىء فإنما تدل على أن الأفكار والمبادئ التى كانت تسيطر على عقول البشر فى ذلك الوقت خاطئة تحتاج إلى التعديل أو التغيير ، وعلى هذا الأساس قامت مدارس أخرى ، وعلى رأس هذه المدارس قامت مدرسة لورنس

وبرغم أن لورنس فى نظر بعض ضيق العقول لا يعدو كونه كاتباً مفحشاً أو رساماً لا خلاق له ، إلا أنه يعتبر فى رأى أئمة المفكرين نابغة عصره . فقد بذ معاصريه الكتاب فى عالم الروايات الطويلة والقصص القصيرة والروايات المسرحية ، كما فاق غيره من الرسامين بلوحاته الفنية ، وظهر على الموسيقيين بمقطوعاته التى وضعها بنفسه . وكان يحدوه فى ذلك كله أمل واحد وغرض واحد : هو القضاء على هذه الحياة التى غلبها التكلف وساد فيها التصنع حتى صارت حياة ملق ورياء ، فكان همه أن يهدم هذه الحياة من أساسها ليقيم على أنقاضها حياة جديدة

ولما كان هذا هو غرضه وجب عليه أن يكون صريحاً إلى أقصى حدود الصراحة ، وأن يتوخى الصدق فى كل ما يقوله ، لا يهمه فى ذلك نوع الموضوع الذى يعالجه ولا رأى الناس فيما يقوله ، فلا يجد فارقاً بين أن يكتب فى موضوع العلاقة الجنسية وبين أن يكتب فى موضوع مناجم الفحم أو ما إلى ذلك من الموضوعات العادية . وهم يعيبون على لورنس صراحته وصدقه وأنه لا يحاول أن يخدع نفسه ويخدع الناس كما يفعل غيره من الكتاب . يعيبون عليه لغته وجرأته فى التعبير وهم يعلمون أنهم يستعملون نفس اللغة فى أحاديثهم فى منتدياتهم الخاصة ، ويعيبون عليه الموضوعات التى يعالجها وهى لم تخرج عما يفعله الإنسان منذ الخليقة حتى يومنا هذا

ولما كان لورنس صريحاً لا يعرف للمداراة معنى فقد حذر الناس من تيار المدنية الحديثة الذى يجرفهم إلى هاوية الدمار وهم لا يشعرون . فهذه المدنية الحديثة وليدة العقل والتفكير قد قامت على حساب كبت الغرائز الانسانية . فبعد أن كان الإنسان وحدة كاملة بعقله وجسمه انفصل الاثنان ، ثم تغلب العقل حتى أصبح الجسم مسجوناً لا يستطيع التنفيس عن رغباته ؛ فيرى لورنس من كتاباته أن يفك قيود الجسم ويطلق سراحه كى يستعيد الفرد كليته الأولى . ولما كانت العلاقة الجنسية وتنظيمها هى التى تكفل للانسان الوصول إلى هذا الغرض فقد اهتم بها لورنس وعالجها فى معظم كتبه

ولورنس من ذلك الصنف من الكتاب الذى يخلق فى قرائه الذوق الذى يعينهم على فهم كتبه واستساغتها ، وهذا فى حد ذاته يحتاج إلى وقت ليس بالقصير . ونلاحظ على كتب لورنس أنها سهلة القراءة صعبة الفهم ، وهذا سر خلودها . فلورنس يعتقد أن الكتاب خالد ما دام يسبر غوره أحد . وكثيراً ما يقرن اسم لورنس باسم جيمس جويس أو فرجينيا ولف أو بروست أو غيرهم من رواد المدارس الحديثة فى الأدب . والحقيقة أن لورنس يختلف عنهم اختلافاً بيناً ، فكتب هؤلاء صعبة القراءة فى أول الأمر سهلة الفهم بعد ذلك ، لأن صعوبتها هى فى لغتها الجديدة وتعبيراتها غير المألوفة فى حين أن موضوعاتها لم تخرج عن الطروق المألوف . وأما لورنس فعلى العكس من ذلك ، فهو يكتب فى لغة مفهومة مألوفة ، ولكن شخصيات رواياته وحوادثها وموضوعاتها أبعد ما تكون عن المألوف ، وكلها ترمى إلى غرض واحد هو شق طريق جديد فى الحياة

وكان من يجرؤ على قول الصدق بين قوم ألفوا الكذب وتعودوه يحاكم محاكمة صورية تنتهى بحرقه أو بزجه فى أعماق السجون . أما فى عصرنا هذا عصر المدنية الحديثة والحرية القول فتقوم الصحافة مقام محاكم التفتيش القديمة ؛ فإذا لم يعجبها كاتب بأن كان صريحاً أو مخلصاً فيما يقول قامت تشوه اسمه وتسىء إلى سمعته حتى تنفر الناس منه وتبغضه إليهم . وهذا ما فعلته الصحف المغرضة بكاتبنا ، وساعدها على ذلك ميل الناس فى عصرنا هذا إلى تصديق كل ما يقال دون أن يكلفوا أنفسهم مؤونة بحث